Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

# مُنْطَلقاتُ الدَّرسِ اللِّسَانيّ الحَديث فِي الدَّلالِةِ مِنَ البُنيويَّةِ إلى الإدرَاكيَّةِ

وقائع المؤتمر العلمي اللغة العربية بين التراث والمعاصرة – نيسان – April/2026

أ.د. عبد الحسن جدوع عبد[1]، سارة عبد الستار علي[2]
[1،2] كلية التربية الأساسية –جامعة الكوفة - العراق
Abduihasanj.alabodi@uokufa.edu.iq
saraha.zueni@student.uokufa.edu.iq

**الملخص.** أنّ الدَّلالةَ مِنَ المُرتكزاتِ الأسَاسيّةِ الَّتي كَانَتْ وَما زَالتْ الشّغلُ الشّاغل، فِي كُلِّ اللّغاتِ بِمختلفِ تَوجهاتِهم مِن فَلاسِفةِ، وَمناطقةِ وَفقهاءِ وَمفسرينَ وَنقّاد وَأدباء وَلغويّينَ، بَيدَ أَنّهُ لكُلّ مِنهم مَنهجه وَأسلوبِه، بِحيث جَاءتْ دِراستهُم بِحسبِ مَا يَعتري مَرجعياتهم، وَمِن بَينَ هَذا كُلّه كَانَت اللُّغة الأداة الَّتي عُبر بها عَمّا يَرمونَ الولوج إليهِ، فَبَين التَّدرج التَاريخيّ الَّذي شَهدهُ الدَّرسَ اللِّسَانيّ مِن إهمالٍ للدِّلالة؛ جَعلَها مَدعاة للنَّظر فِي أهَميتها عَلَى المِحورَينِ العِلميّ وَاللُّغويّ، لذا رُمنا الوقوف عَلَى المَبادئ المُنظمة للعملياتِ الذّهنيّةِ المؤسسة لبناء المعنى، وَعزمنا البَحثَ قُدمًا عِبرَ رابطٍ أسَاسيٍ يُدركُ أنّ اللُّغةَ لَيستْ مُجردُ بِناءًا شَكليًّا؛ بَل هيَ لَصيقةٌ بِالمُنطلقاتِ الإدراكيّةِ البَشريّة مُعتمدا عَلَى الوَظيفةِ العَقليّة، بِالتالي فَما لها أَنّ تَكونُ إلّا اِنعكاسًا عَنْ جَنبةٍ مَعرفيّة يَتحلى بِها بني البَشر عَلَى مُختلفِ تَوجهاتِهم الثّقافيّة وَالاجتماعيّة ثَاويةً بِذلكَ عَلَى التّجربةِ البَشريّة.

**الكلمات المفتاحية:** الدَّرسُ اللِسَانيّ، الدِّلالة، البُنيويَّة، الإدرَاكيَّة.

**Abstract**. That meaning is one of the fundamental pillars that has been and still is the main concern, in all languages with their different orientations of philosophers, logicians, jurists, interpreters, critics, writers and linguists, however, each of them has his own approach and style, so that their study came according to what is in their references, and among all of this, language was the tool that was used to express what they aimed to access, so between the historical progression that linguistic study witnessed of neglect of meaning; This made it a reason to consider its importance on the scientific and

linguistic axes. Therefore, we sought to identify the organizing principles of the mental processes that establish meaning, and we resolved to search further through a basic link that recognizes that language is not merely a formal structure; rather, it is closely linked to human cognitive starting points, relying on the mental function. Consequently, it can only be a reflection of a cognitive aspect possessed by human beings in all their cultural and social orientations, thus resting on human experience.

**Keywords**: Linguistic Studies, Semantics, Structuralism, Cognitive Linguistics.

## المقدمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ جَلَّ وَعلا، وَالصَّلاة وَالسَّلام عَلَى خَيرِ الورى مُحَمَّد وَآل بَيتهِ الطَيبينَ الطَّاهرينَ...

أَمَّا بعد:

كَانَتْ وَمازالت الدِّلالةُ قُطب الرحى الَّذي تَدورُ حولهُ الدِّراسَاتِ العَربيَّةِ بِمختلفِ تَوجهاتِها وَمُتبنياتِها، وَلا سِيَّمَا فِي الدِّرسِ اللِسَانيّ، عَلَى اختلافِ رواده وَمراحلِه مِنَ المُنطلقاتِ الأَولى حَتَّى المَرحلةِ الآنيَّةِ، إِذْ كَانَتْ مُتأرجحة بينَ صِفتينِ الثَّابتِ وَالمُتغير، فَمنذُ بِداياتِها كَانَتْ تَحملُ سِمَّة الثَّبات، ثُمَّ مَالبثوا روادُها إِلى النَّظرِ إِليها بِسمةِ المُتَغير، وَعَلَى الرغمِ مَمَّا بَدا لنا الوُقُوفُ عَلَيْه وَذكرهُ فِي هذهِ الورقةِ البَحثيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ لا يمكنُ الإِلمام بَجميعِ مَشاربِ الدَّرسِ اللِسَانيّ، الَّذي تَناول الدِّلالةُ لِتَشعبِ طُرقِ المُعالجةِ سَواء كَانَ عَلَى مُستوى التَّحليلِ أَوْ التَّفْسيرِ، لِذا جاءَ البَحثُ مُتمثلاً بِالمُنطلقاتِ الَّتي آثرتْ فِي الصِياغةِ التَّحليليَّة وَالتَّفسيريَّةِ للدِّلالةِ وَالاتجاهاتِ، الَّتي أَثرتْ فِي هذا الدَّرسِ ضِمنَ مُقدمةٍ يَليها تَمهيدٍ وَمردفٍ إِيَّاه بِمَحاورٍ أَربعة، بَينَت الطُرق المُتَغيرة لِتناولِ الدِّلالةِ مِنَ البُذورِ الأَولى لِهذهِ الدِّراسةِ حَتَّى تَناولها فِي الدِّرسِ الحَديثِ، مُبينًا فِيها أَهم المُتَغيراتِ الَّتي طَرأتْ عَلَيْه ثُمَّ اختممتْ القولَ بِخُلاصةٍ مَفادها أَهمَّ ما خُلصَ عَلَيْه الدِّرسُ اللِسَانيّ وَمُذيلة بِمجموعةٍ مِنَ المَصادرِ الَّتي أَعانَت البَاحثُ عَلَى الدّراسةِ فِي التَّشكيلِ وَالتَّوثيقِ.

## التَّمهيدُ:

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256



فِي مُعتركِ التَّطُورِ اللّسَانيّ وَالدّراسَاتِ اللُّغويّةِ بِشكلٍ عَامٍ، خَضَعَتْ الدِّراسَاتُ اللّسَانيّةُ لِجملةٍ مِنَ التَّحوّلاتِ بِحَسبِ المُتبَنياتِ لِروادِها وَمَا اِعتراها مِن جُذورٍ تَأْسِيسِيّة، فَضلاً عَمّا اعتَقوهُ مِن تَطلعاتٍ اِنعَكستْ عَلَى تَجليّاتِ الدّرسِ اللِّسَانيّ فِي المستويّين العَربيّ وَالغَربيّ، وَلا سِيّما مَن رَامَ الخَوض سُبر أغوارُها، وَالكَشفُ لِما ورائُها، فَقد تَعدّدتْ النّظريّاتُ وَاختلفتْ الرُؤى فِيما بِينها، خصوصًا فِي الأسسِ وَالمَبادئِ الّتي أنطوتْ عَليها، لتكّون نِتاج مُتغيّرات مُتعددة، أظْهرتْ كُلَّ مَرحلةٍ بِحلةٍ جَديدةٍ، تَختلفُ عَنْ سَابِقيها مِن المَراحلِ.

## المُحْوَرُ الأوَّل:

وَبادئَ ذي بِدءٍ لا يُمكنُ العُزُوف عِنْ الشُّعْلةِ الَّتي أَثارَ ضُوءِها سوسير، إذْ أوّلتْ الدّرسَ اللِّسَانيّ الوجّهُ الأوليّةُ وَالِبداياتُ المُنيرةُ، لِظهورِ هَذا العِلمُ الَّذي أسبَغتْ عَلَيهِ الدّراسَاتُ مِن كُلِّ حَدبٍ وَصوب، وَهيَ حَقيقةٌ لا يُمكنُ إنكَارها، لَقد خَصّبَ سوسير عِلمَ اللُّغةِ الحَديثِ، ثُمّ انبرى تَلاميذُهُ عَلَى جَمعِ مُحاضراتِهِ، وَوَضعَ الأسسَ وَالمبادئَ حَتَّى صَارَ عَلَى يَديهِ عِلمًا مُستقلاً (دي سوسير، 1985، ص 3). نَالَ حُظْوةً وَمكَانةً فِي الدّراساتِ الاكَاديميّةِ، فَمِنَ البَديهيّ أَنَّ نَتَطرقَ مُنذُ البِدايّة إِلى بَاكُورةِ الدِّراسَاتِ اللِّسَانيةِ، وَأَنَّ اِختلفتْ فِي المَضامينَ إِلى حَدٍّ بَعيدٍ عِنْ المُقَارباتِ، الَّتي دَعا إِليها مُتبنوُ التَّصوّرات الذِّهنيّةِ، فَمِنَ النّظرةِ التّقليديّةِ للّغةِ، وَدِراسَتها عَلَى أَنَّها شَكّلنة وَنظام مُستقل إِلى النّظرةِ الحَديثةِ، الَّتي عَملتْ عَلَى بَلّورةِ اللُّغةِ وَعدّها نِظامٌ مرنٌ، ضَمَّ تَحتَ مَظلتِهِ مُؤثرات مُتعددة، وَكانَ ذَلكَ عِبْرَ مَراحلٍ مُتعددةٍ وَمُختلفةٍ.

فَفِي مَرحلةِ الدِّراسَاتِ البَنيويّةِ كَانَتْ دِراسة اللُّغة (فِي ذَاتِها وَمِن أجلِ ذاتِها) (دي سوسير، 1985، ص 9؛ السعران، 1999، ص 47)، مما نَتج عَنْ دِراسةٍ مُغلقةٍ لِلُّغةِ، بَقِيتْ تَحومُ حَولَ النَّصِ، مِنْ مُنطلقٍ مِنهُ وَإِليه، وَأَنَّ كَانَ تَعبيرهُ عَنْ مَفْهُومِ المَدلولِ بِأَنَّهُ: (الصّورةُ المَفْهُومِيةِ الَّتي تُعبرُ عَنْ المَتَّصوّرِ الذِّهنيّ الَّذي يُحِيلُنا إِلى الدّالِ) (مقدور، 2008، ص 23). وَلا مَناص أَنّها كَانَتْ تُعنى بِدِراسَاتٍ وَصفيّةٍ قَائمةٍ عَلَى بُنيةِ اللُّغةِ، وَالاكتفاءِ بِوصفِها وَلا يَهمُّها مَا وَراء الظّواهرِ اللُّغويّةِ وَالآلياتِ الَّتي تُسيّرها وَلا بِما فِي ذِهنِ المُتكلمِ حِين يَتكلمُ لُغتهُ (تشومسكي، دون تاريخ، ص 21).

## المُحْوَرُ الثَّاني:

المَرحلةِ الَّتي صَارَ التّعاملُ مَع اللُّغةِ عَلَى أَنَّها وَظيفيَّة وَاِتصاليَّة، فقد اِنحصرَ بَيان اللُّغة فِي الوَظيفةِ الَّتي تُؤديها ضَمن البِيئة اللُّغويّةِ، أذْ كَانَ هَدفها فِي المُستوى الكَلاميّ الَّذي يُعبرُ عَنْ القِيمةِ

الاتّصاليّةِ للُّغةِ (مقدور، 2008، ص 298). وَبالنسبةِ إلى المَنحى السّلوكيّ مَع بلومفيلد فكانت بِحلةٍ مُنفصلةٍ عَنْ التّصوّراتِ الذِّهنيّة بِشَكلٍ تَامٍ؛ وَذلكَ لأنّها مَنعت الخوضَ فِي أَهم مَبادئِها الّتي ضَمت الإدراك وَالذاكرة وغيرها (تيبرغيان وآخرون، 2013، ص 356). إذ هجر الاتجاه العقلي وسرى حذوة البحث عن الدلالة في السلوك اللغوي الظاهر والقول بمبدأ المثير والاستجابة وعلى الرغم من ذلك بيد أنها لم تعط معايير علمية لضبط الصيغة اللغوية الذي ينطبق على جميع الصيغ والتراكيب (منقور، 2001، ص 87).

## المُحْوَرُ الثَّالِث:

انتقل إِلى مَرحلةٍ أُخرى شَهِدَتْ المَدرسةُ اللِّسَانيّةِ السِّياقيّةِ نَظرةً جَديدةً لِدراسةِ اللُّغةِ، وَهي أَنّ اللُّغةَ تَكمنُ فِي تَحديدِ مُفرداتِ الكَلماتِ، وَهذهِ الكَلماتُ تَحملُ بَينَ طِياتِها دَلالاتٍ مُحتملةٍ لِصنوفٍ مِن المَعاني وَلا تَتَضحُ إلّا دَاخل السّياق، وَلا يُمكنُ فِهمَها إلّا ضِمنهُ (عزوز، دون تاريخ، ص 144). وَلعلّ لانطلاقِ المَرحلةُ السّابقةُ كَانَ مَفادًا لِظُهورِ اتّجاه ولّد فكرةَ الدِّراسَة التّداوليّة الّتي كَانَتْ بِداياتُها فِي كِتابِ أوستين "كيف نُنجز الأفعال بِالكلماتِ " وَقد تَضمنتْ حَسَبَ غرايس عَلَى فِكرةِ أساسِ تَرى أَنَّ اللُّغةَ (هَي دِراسةُ المَعنى السّياقيّ) –أي– دِراسةُ المَعنى كَما يُوصلهُ المُتكلمُ وَيعملُ السَّامِعُ عَلَى تَفْسيرِهِ، ممّا يَتَبين أَنّ التّداوليّة هي دِراسةُ استعمالُ اللُّغة فِي سِياقٍ مُعينٍ (يول، 2010، ص 19).

وَفي ظِلّ هَذهِ المُؤشراتُ وَمقارنةً مَع مُعطياتِ المَراحلِ الأخيرة، نَجدُ أَنّ الرأيَ الّذي سَادَ رَدحًا مِن الزّمنِ دون مُعارضٍ هُوَ أَنّ اللُّغةَ وَالفِكر فَعاليّتين مُنفصلتين، فَاللّغةُ تَتصلُ بِالكلماتِ، وَالفكرُ يَتصلُ بِالأفكارِ، فَيُمكنُ للكلماتِ أَنّ تَعتمدُ عَلَى الأفكارِ، بَيدَ أَنَّهُ لا يُمكنُ للأفكارِ أَنّ تَعتمدُ عَلَى الكلماتِ، لِذا عُوملتَ الأفكارُ عَلَى أَنَّها تُمثلُ الأشياءَ وَالخواصُ وَالعلاقاتُ الخارجيّة كَما تُدركُها الحواس (هاريس، 2019، ص 33).

## المُحْوَرُ الرَّابع:

إِنَّ أهم مَا يَعنينا فِي هَذهِ التّحوّلات هُوَ المَرحلةُ التّشومسكيّة التي أحدثت ثمارا خصبا في دلالة الدرس اللساني؛ لأنّها كَانَتْ مُؤاد ظُهور نَظريّات التّصوّر الذّهنيّ وَبرزت عَلَى جزأين:

### 1- الجُزءُ الأَوَّلُ: التّوْلِيديّةُ التَّحوُيليّةُ

عُدَّتْ هَذهِ المَرحلةُ ثورةً حَقيقيّةً عَلَى الاتّجاهِ البنيويّ فِي تَعاملِهِ مَع اللُّغةِ، فَبَعدَ أَنَّ سَادَتْ الدِّراساتُ البنيويّة فِي النصفِ الأَوّلِ من القرنِ العشرين، وَارتبطَ اسمهُا بِفردينان دي سوسير، صَارَتْ فِي النِصفِ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256



الثّاني مُتعلقةً بـ(نعوم تشومسكي الّذي وُلد 1928م_ وما زال حيًّا)، لَقد شَغلَ الدّارسيّنَ بنظريّاتِه فِي طَبيعةِ اللُّغةِ وَمَنهج دِراستِها، فَهُوَ رَائدُها بِلا مُنازعٍ (عزوز، دون تاريخ، ص 154)، وَالقائدُ الأبرزُ للثورةِ المَعرفيّةِ فِي الخمسينياتِ وَالستينياتِ مِن القرنِ العشرينِ (تشومسكي، دون تاريخ، ص 61)، إذْ قَالَ فِيه راي جاكندوف وَهُوَ أحدُ تَلاميذُهُ (لا أَعرفُ أَحدًا اِستطاع أَنّ يُهيمنُ عَلَى عِلمٍ مُعينٍ مِثل هَيمنةِ تشومسكي عَلَى اللّسَانِيّاتِ إلّا فرويد عَلَى علمِ النفس) (تشومسكي، دون تاريخ، ص 17).

قَبلَ التّطرقِ لِبيانِ مَاهيّةِ هَذا الاتجاهُ وَالتّعرفُ عَلَى آلياتِ اشتغالِهِ، يَنبغي الوُقوف عَلَى الجوِ الّذي سَاعدَ عَلَى ظُهُورِ مِثل هَذهِ الدّراساتِ، فَقد كَانَ للصراعِ الدّائمِ بَينَ فَلسفةِ القَبلياتِ وَالبَعدياتِ أثرًا واضحًا عَلَى التّغيراتِ الّتي طَرأتْ عَلَى العُلومِ المُختلفةِ وَلا سِيّما العِلمُ اللّسَانيّ.

يؤيد ذَلكَ جحفة بِقولهِ:(يَظهرُ هَذا الصّراعُ بِشكلٍ بَارزٍ فِي اللّسَانياتِ. اللّسَانياتُ المُعاصرةُ علمٌ مُشبعٌ فلسفيًّا، وَالكثيرُ مِن مُؤسسيّهِ وَالمُشتغلينَ فِيه المُعروفينَ تَدرّبوا فِي فَلسفةِ اللُّغةِ العَاديّةِ، أو فِي الفلسفةِ الصُوريّةِ... هَضموا عِبرَ مَسيرتِهم الجَامِعيّةِ، افتراضاتُ فَلسفيّةٌ هَامّةٌ) (لايكوف وجونسن، 2016، ص 618).

وَلا يَخفى أَنَّ تشومسكي بِإرثِهِ الديكارتي شَكّل صِراعاً فَلسفيّاً عَلَى اللُّسانيّاتِ المُعاصرةِ بِاعتدادهِ عَلَى المَنطقِ التّحليليّ بِشكلٍ عَامٍ وَالمنطقِ التّصوريّ المَعرفيّ بِشكلٍ خَاصٍ، إذْ جَمعَ فِي دَفاتِ كِتاباتِهِ بَينَ الفَلسفةِ الدّيكارتيّةِ وَالتيارِ التّصوّريّ لِيجعلُ مِنهُ بنى لِسانيّة ظَلتْ مُستمرةً مَعهُ طوالَ مَسيرتِهِ العِلميّة عَلَى الرغمِ مِن التغييرات التي طرأت على متبنياته (لايكوف وجونسن، 2016، ص 616). وَكَانَتْ قَائمةً عَلَى اعتبارِ اللُّغةِ غَير وَاعيةٍ فِي الذّهنِ البَشريّ حَتَّى يُثبتُ جَاهدًا شَكلانيتها (حباشة، 2008، ص 60)، وَقد أفادَ مِنَ العربِ مازن الوعر بِتصنيفِهِ فِي اللّسَانياتِ الحَديثةِ بِاعتبارِها الدِراسَة العِلميَّةِ للغَاتِ البَشريَّةِ كافة مِن خِلالِ الالسَنة الخَاصّةِ بِكُلِّ قومٍ مِن الأقوامِ، بِأنَّها جَنبةٌ بَيولوجيَّة تَبحثُ عَنْ العِلاقةِ القائمةِ بينَ اللُّغةِ وَالدّماغِ، وأَنّ مُهمَّة هذا العلم مَعرفة البينة اللُّغويَّة عِنْدَ الإنسانِ وَمقارنتها بالبنيَّةِ الإدراكيَّةِ. (الوعر، 1989، ص 24–25)

فَضلاً عَنْ كَونِها غَير مُجسدة فَعِنْدَما يَستَنبطُ الأشياءَ، يَكونُ هُناكَ نَوعانِ: الأوّلُ جَسدي مَوجود فِي الفَضاءِ الخَارجيّ، وَالأخر ذَهنيّ مَوجود فِي الفِكرِ، فَالتّجسيدُ خَارج إطارِ البُنيّة الفِكريّةِ عَلَى حَدّ اعتباراتِ ديكارت، الّتي اِنطلقَ مِنها تشومسكي بِالجوهرِ الذّهنيّ هُوَ مُختلفٌ كُلّيًّا عَنْ الجَوهرِ الفِيزيائيّ (لايكوف وجونسن، 2016، ص 532). وَلعلّ وَجهُ المُفارقة صَارَ واضحًا بِثلاثةِ رؤوسٍ مُتأصلةٍ بَينَ

التّجسيدِ وَعَدمِهِ فَمِن العَدمِ مَع ديكارت، وَتابعُهُ تشومسكي بِطروحاتهُ إِلى التّجسيدِ بِشكلٍ مَركزيّ عِنْدَ تَلاميذِهِ سأذكرُ ذَلكَ بِالتّفصيلِ عِنْدَ الحَديثِ عَنْ الرؤيّةِ الجاكندوفيّة.

مَا أنفكَ الاتّجاهُ اللّسَانيّ الإدراكيّ عَنْ أوّلياتِ اللّسَانيّاتِ بِشكلٍ عَامٍ، بَيدَ أَنَّهُ غَدى يَنظرُ إِلى اللُّغةِ بِتكوينِها وَأسبابِ حُدوثِها عَلَى أَنّها عَقّلنة تَجعلُ مِن الذّهنِ مُنطلقاً للقيامِ بها، إذْ مَثّل الذّهن عِنْدَ تشومسكيّ تَمامًا مِثل الجسم، وَيَعدُّهُ عَلَى أَنَّه نِظامًا مِن الأعضاءِ الَّتي يَجدرُ أَنّ تُسمى بالـ(الأعضاءُ الذّهنيّة) قِياسًا عَلَى الجسمِ (الزناد، 2008، ص 53).

لَقد عَنَّ عَلَى ذَلكَ أَنَّ تَبدو اللّسَانيّات التّوليديّة التّشومسكيّة مِن أكثرِ الاتجاهاتِ الَّتي تَمسكتَ بِالطرحِ المُوسوم بأن اللُّغة مُوضوعها الدِّماغ وَليستْ شَيئًا خَارجًا عَنهُ وَلا ضير أَنّ هَذا التَمسكُ كَانَ مُرتبطًا بِالكثيرِ مِن المُسوغاتِ وَلا سِيّما ارتباط لِسانيّاتِهِ بِعُلومِ الأحياءِ (الزراعي، 2016، ص 24). وَيُفندُ العِلمُ الاحيائيّ بِالاستدلالِ العِلميّ الحُجة البَالغة لِهَذا الرأي، إذْ تَوصلت الدّراساتَ إِلى أَنّ الإنسانَ يُولدُ وَهُوَ مَجبولٌ عَلَى الفِطرةِ اللُّغويّةِ وَيُخلقُ وَهُوَ يَمتلكها مَعهُ بَيولوجيا، وَقد أَكدتْ هَذهِ الدِّراساتُ أيضا بواسطة الوسائل التّشريحيّة للدِّماغ أَنّ الفص الأيسر للإنسان حَاوي عَلَى منطقةٍ مَركزيّةٍ لُغويّةٍ عِنْدَ غَالبيةِ البَشرِ، تُدعى {بروكا} وَهي مُوجودةٌ فِي مُقدِمةِ الفصِ الأيسرِ مِن الدِّماغِ وَتَختصُ فِي تَحديدِ التّراكيبِ وَالجُملِ وَتَصريفِها وَإرسالِ الأوامرِ وَإكمالِ عَمليّةِ النّطقِ (الزراعي، 2016، ص 25–26).

أَمَّا مِن حَيث الظُهُورِ وَالتّقعيدِ فَقد أُورخَ ظُهُور الاتّجاه التّوليديّ التّحويليّ عام 1957م، مَع نَشرِ كِتابِ (البُنى النّحويّة)، لنعوم تشومسكي، فَتَكمنُ أهميّة الكِتاب فِي أَنَّهُ صَارَ الدّستورُ الأوّلُ للنّظريّةِ الَّتي جَاءَ بِها تشومسكي، تَمثلتُ غايّتُهُ فِي تَأسِيسِ لِمجموعةِ مِن القَواعدِ كَانَ فِي غُرتِها، قُدرةُ المرءِ عَلَى تَشكيلِ عَددٍ غَيّر مَحدودٍ مِن الجُملِ(تشومسكي، 1987، ص 6). وَقد كَانَ لِهذا الكتاب مُوقفٌ تاريخيّ بِدأ بِالرَفضِ فِي الوُهلةِ الأوّلى حَتّى أَنّ نَشرهُ كَانَ ضئيلُ الحجمِ؛ وَذَلكَ لأَنَّهُ يَشّقُ طَرِيقًا غير مَألوفٍ فِي البَحْثِ اللُّغويّ ، ثُمَّ مَا لَبث إِلى أَنّ أَخَذَ نَجمهُ بِالصُعُودِ وَبَدأ الصّراعُ بَينَ مَنهجهُ الجديدِ الَّذي أَخَذَ بِالشّيوعِ وَالانتشارِ وَالمَناهجِ اللِّسَانيّةِ السَّائدة (تشومسكي، دون تاريخ، ص 13–14).

حَاولَ تشومسكي أَنّ يَكونُ نَموذجهُ اللُّغويّ عَلَى اعتبارِ مَجموعةٍ مِن القَواعدِ الرّياضيّةِ، الَّتي يُمكنُ لأيّ جِهاز أَنّ يُجريها، وَلا حَاجة للإنسانِ فِي تَفْسيرِها، فَضلا عَنْ بَيانِ أَنّ هُناكَ صِفاتًا مُشتركة بَينَ جَميعِ اللُّغاتِ بَدلاً مِنْ التأكيدِ عَنْ الفروقِ، كَما أفادَ بِذلكَ الاتّجاهُ البُنيويّ(مقدور، 2008، ص 314).

وَأكدتْ ذَلكَ طُرُوحات ديكارت إذْ يَقولُ: (إِنّ كُلّ الأفكار الَّتي تَأتي إِلى الذّهنِ البَشريّ يَنبغي أَنّ تَخضعُ لِنظامٍ شَبيهٍ بِالنّظامِ الطَبيعيّ للأعدادِ وَفِي يومٍ وَاحِدٍ يُمكنُ للمرءِ أَنّ يَتعلم تَسمية كُلّ سِلسلة مِن

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256


السَلاسَلَ اللانهائيّةِ للأعدادِ، وَبِذلكَ كِتابة عِدّة ألفاظ بِصورةٍ لا نِهائيّة... نَفسُ الشيء يُمكنُ أَنّ يَحصلُ بِالنسبةِ لكُلِّ الأَلفاظِ الأخرى الضّروريّة فِي التَّعبيرِ عَنْ كُلِّ الأَشياءِ الّتي تَندرجُ فِي نِطاقِ الذِّهنِ البَشريِّ) (لايكوف وجونسن، 2016، ص 537). وَتَابعهُم عَلَى هَذا المَنطق (فريغة)، فَقد اعتقدَ بأن الجَانبَ النَفسيّ ليس سِوى مظهرٌ شَكلانيّ وَفراديّ وَلا يُمكنُهُ أَنّ يَكونُ عُموميًا لِيَصلِ إلى فِكرةٍ تَرسختْ فِي مُعتقداتِهِ ترى إنكار أيّ دورٌ لِمظاهرِ الجَسد وَالخيال فِي المعنى(لايكوف وجونسن، 2016، ص 613). فَالتّركيبُ عِنْدَهُ مُستقلاً عَنْ الدِّلالةِ وَأنّ المعنى لا يُمكنهُ أَنّ يَدخل فِي القَواعدِ التّركيبيّةِ، فَهُوَ خَالصٌ خَالي مِن المعنى(لايكوف وجونسن، 2016، ص 619). وَلا يَخفى أَنّ ذَلكَ كَانَ مُتأتيًا مِن الطَبيعةِ القالَبيةِ الثّابتةِ غَير القابلةِ للمرونةِ، وَلا تَتَأثرُ بِمّا عَدّاها مِن المُتغيراتِ، فَالجَانبُ التّركيبيُّ حَاوي للجملِ مُقولب فِي قَوقعةِ الدِّماغِ، وَكَانَتْ هَذهِ المُتبنياتُ مِن الثّغراتِ الّتي أُخَذَتْ عَلَى طُرُوحاتِهِ، فَمِن غَير الصوابِ عَدم رَبطِ اللُّغةِ بِالأنشطةِ العِمليّة مِن التّفكيرِ الّتي يَتعاملُ مَعها الدِّماغُ بِطريقةٍ آنيةٍ، وَالواقعُ أَنّ اللُّغةَ بِطبيعتِها تَتَحلى بِالمُرونةِ كَآليةٍ عَملٍ بَيولوجيّ مُتغير بِتغيّر الظروفِ المُحيطةِ وَمَحكوم بِعناصرِ التّواصلِ (الخِطابُ وَالمُخاطَبُ وَالمُخاطِبُ) (شنوقة، 2008، ص 89).

وَلا يَفُوتُنا أَنّ نَنّوهُ عَلَى طَبيعةِ التَّحليلِ اللُّغويّ فِي دِراسَاتِهِ الّتي قَامَتْ عَلَى اعتبارِ أَنّ اللُّغةَ وَحداتٌ تَمييّزيّةٌ مُنفصلةٌ، يُظهرُها التّقطيعُ، وَهُوَ بِلا شَك المَنهج الّذي اعتمدهُ أصحابُ الاتّجاه التّوزيعيّ، وَذلكَ فِي تَحليلِ الجُملةِ عِبر تَقطيعها إلى المُكوناتِ المُباشرة، وَأَنّهُ بِذَلكَ يُمكنُ وَصفُ النّحو دونَ اللّجوءِ إلى المعنى (تشومسكي، 1987، ص 6).

لَعلّ المُتَفحصُ بَينَ الدِّراسَاتِ اللِّسَانيّة يَجدُ أَنّ مُعطياتَ سابير 1912م، عِنْدَهُ وَاضحة جليّة، الّذي عُدَّ رائدًا فِي الاتّجاهِ التّوزيعيّ، كَانَ تَخصّصهُ بِالانثروبولوجيّا وَبِاللّسَانيّاتِ وَالأدبِ وَالفنِ وَالموسيقى وَقَالَ بِعدمِ فَصلِ الدِّراسةُ اللُّغويّةُ عَنْ بَاقي مَظاهر السلوك البَشريّ، فَكَانَ تَركيّزهُ عَلَى الجَانبِ الإنسانيّ لِلُغةِ، وَعَلَى أسبقيةِ الفِكرِ عَلَى الإرادةِ وَالأحاسيسِ (أحمد، 2018، ص 27).

عَكفَ تشومسكي عَلَى تَعديلِ مَسارهِ البَحثيّ لِمُنطلقاتِ التّحليلِ اللُّغويّ، وَذَلكَ بَعدّ الأساسُ المَركزيّ لِلّغةِ، هُوَ مُنطلقٌ ذِهنيّ يَتم تَصويرهُ دِماغيًا، فَهُوَ الوعاءُ الحَاوي للّغةِ، وَلا يُمكنُ لأي شيء مِن الخَارجِ أَنّ يُؤثر فِيه، إِذْ عدّهُ مُستقلا عِن كُلِّ مَايدور حَولُهُ، ممّا يَتبينُ أَنّهُ كَانَ قَائمًا عِنْدَهُ عَلَى الانفصالِ المَيدانيّ للتجربةِ البَشريّةِ خِلافًا لِمن جَاءَ بَعدهُ، إِذْ تُوحي طُروحاتهُ إِلى انفصالِ دَقيقٍ بَينَ المَلكةِ الذِّهنيّةِ وَالسّيرورةِ البَشريّةِ بِما فِيها (الإدراكُ وَالانتباهُ وَالذّاكرةُ وَالحركةُ... وَغيرها) لِيُمثلُ عِنْدَهُ التّركيب عَلَى أَنّهُ

الجُزءَ الإبداعيّ فِي الذِّهنِ، فَكَانَتْ اللُّغةُ فِي مَنظورِهِ مَا هَي إلّا مَلكةٌ ذِهنيّةٌ مُستقلةٌ كُلّ الاستقلالِ عَمّا حَولَها مِن المَظاهرِ (لايكوف وجونسن، 2016، ص 622–623).

وَبوصفِها هَكذا فَهي لا تَكونُ إلّا صورةً خَالصةً وَالتّركيب هُوَ مَا يَعتبرهُ تشومسكي الدِّراسةُ الخَالصةُ وَهُوَ المَاهيّة الّتي تُشكلُ اللُّغةُ فَهُوَ يُخلقُ انطلاقا ممّا لا يوجد خَارجهُ (لايكوف وجونسن، 2016، ص 622)، وَليس هَذا فَحسبَ فَالتّركيبُ ليس خَصيصةً تَتمازُ بِها لُغة دونَ أخرى؛ بَل جَاهد عَلَى أَنّ يَضع قَواعدَ تَنطبقُ عَلَى جَميعِ اللُّغاتِ وَتَعرفِها بِالفطرةِ كُلّ الكائناتِ البَشريّةِ (لايكوف وجونسن، 2016، ص 628). وَهي بِكُلّ تأكيدٍ مما وَرثهُ عَنْ الفَلسفةِ الدّيكارتيّة، الّتي خَلّفتْ لهُ العديد مِن المَشاكلِ(لايكوف وجونسن، 2016)، ممّا لا يتواءمُ مَع الواقعِ اللُّغويّ بِشكلٍ عامٍ وَممن تُبنى اللِّسَانيّات بَعدهُ بِشكلٍ خاصٍ وَلا سِيّما ما يَخصُ التّجسيد وَالتّجربة وَما إلى ذَلكَ.

فَلم يَرتأ أَصحابُ التّصوّر الذّهنيّ ممن جَاؤوا بعدَ تشومسكي أو عاصروهُ السّير تباعًا عَلَى خُطى مُتبنياتهُ، وَتطبيقُ مُعالجاتِهِ، بل كَانَ لهم رأيٌ آخر، فِي النّظرِ إلى الواقعِ اللُّغويّ(لايكوف وجونسن، 2016، ص 649)، فَقد جَاؤوا مُتعهدينَ بدراسَةِ مَظاهر اللُّغة عَلَى جَميعِ مَا تَحملُ مِن جُزئياتٍ وَأكدوا أَنّ لِسانيّاتَ تشومسكي لا تَدرسُ إلّا جزءًا طفيًفا مِن اللُّغةِ(لايكوف وجونسن، 2016، ص 631)، فَقد تَمثّل التّصورُ حَسبَ الرّؤيّة التّشومسكيّة عَلَى أَنّهُ تَصوّر معياريّ مُختلف عَنْ تَصوّر (الهندسةُ الثلاثيّة)، فَالأوّلُ قَائمٌ عَلَى التّركيبِ وَالشّكلانيّة، وَالثّاني تَضّمنَ نَظريّة دِلاليّة جَامِعة بَينَ دَفتيها مَحاور ثَلاثة (المعجمَ وَالنّحوُ وَالدّلالةُ) (غاليم، 2020، ص 28).

وَيُمكنُ تَلخيص ذَلكَ عِبرَ مَجموعةٍ مِن المَبادئِ الأَساسيّة وَلا سِيّما فِيما يَخصُ القُدرةُ اللُّغويّةُ الّتي كَانَتْ مُغايرةً تَمامًا عِن المَبادئِ اللِّسَانيّةِ الإدراكيّةِ كَانَ أَهمُّها(لايكوف وجونسن، 2016، ص 660–661):

–إنّها كَانَتْ مَقدرةً عَصبيّةً أَوّلاً، إذْ يَعملُ الدِّماغُ عَلَى الرَبطِ عصبيًا بَينَ أَجزاءِهِ المَعنيّة مَع التّصوّراتِ وَالوظائفِ الأخرى (الانتباهُ، الذّاكرةُ، الحَركةُ وَغيرها) وَالأسلوبُ اللُّغويّ.

–البُنيةُ اللُّغويّةُ مُلازمة للتجسد وَلا يوجد بِناء نَحويّ غير خَاضعٍ للمحور التّجريبيّ فَما تَصوراتُنا إلّا هَيكلة لِمعرفةٍ سَابقةٍ.

– يُشتق البِناءُ التّركيبيّ عِبرَ مَقولة تَصوّريّة وَما هَي إلّا نَشأة مِن الطَبيعةِ المُتجسدةِ إذْ لا يُمكنُ أَنّ يَكونُ هُناكَ بِناءٌ خَالٍ مِن المعنى وَمِن المَعرفةِ.

–تَعتبرُ القُدرةُ اللُّغويّةُ هِي القُدرةُ الكَاملةُ عَلَى التّعبيرِ عَنْ التّصورّاتِ وَالمَعارفِ، بِناءٌ عَلَى هَذا فَما التّصورّاتُ إلّاُ جزءًا مِن القُدرةِ اللُّغويّةِ البَشريّةِ، لِذا كَانَتْ مُختلفة عَمّا نَحى إليها متبنو اللِّسَانيّاتُ الإدرَاكيّة فَمهما بَدا لتشومسكي مِن التّضييق عَلَى المُقدرةِ اللُّغويّةِ حَتّى يَشمل كُلّ اللُّغاتِ عَملت اللِّسَانيّاتُ الإدراكيّة عَلَى تَوسيعِ القُدرةِ اللُّغويّةِ وَالنّظرِ إليها مِن مَعناها الواسع حَتَّى يَشمل عَلَى كُلِّ أَجزاءِ اللُّغةِ.

وَبناءً عَلَى مَاسبق ذِكرهُ فإن الذّين جَاؤوا بَعد تشومسكي، كَانَتْ لهم وُجهة نَظر مُختلفة، وَرؤيّة شَاملة لِلجانبِ اللُّغويّ إذْ حَرصوا عَلَى وَضعِ مُسلماتٍ تَجمعُ كُلّ الجُوانب الّتي تَمسُ اللُّغةُ سَواء أكَانَتْ دَاخليّة ضِمنَ المُستوى اللُّغويّ أو خَارجيّة بِما فِيها مِن مُؤثراتٍ.

## 2– الجُزءُ الثاني: نظريّاتُ التّصوّرِ الذّهنيّ

يَعدُّ التّصوّرُ الذِّهنيّ مِن المَبادئِ الرّئيسيّةِ الّتي اِنضوتْ عَلَيها النّظريّاتُ اللِّسَانيّةُ الإدراكيّةِ، إذْ تَبنوهُ وِفقًا لِمنظوراتِهم الفِكريّة وَمُتبنياتِهم الثّقافيّة وَالفَلسفيّة وَاللِّسَانيّة، وقد مثلت هذه النظريات منعطفا آخر في الدرس اللساني لتحليل ودراسة المعنى وتحديد أجزائه يختلف عما سبقها(منقور، 2001، ص 85)، لم يَكنْ هَذا المُصطلحُ – التّصوّرُ الذّهنيّ– بِصيغتِهِ الحَديثةِ مُتيسّرًا عِنْدَ عُلماءِ العَربِ القُدماءِ بِهذا التّصريحِ؛ بل هُوَ وليدُ المُنطلقاتِ الحَداثويّةِ وَتلاقحُ العُلومُ المُختلفة، وَهُوَ رأيٌ واقعيّ لا مناصَ فيه، لكن المُتفحص بَين أروقةِ أماتِ الكُتبِ العَربيّة القَديمة، يَجدُ لهُ جُذورُ فِكريّة عَميقة أوردتهُ بِالتّلميحِ فَقد وَردَ عِنْدَ أصحابِ الفِكرِ المُوسوعيّ، وَلاسِيّما عِنْدَ الرازي بأنّ: (الْمَعْنَى) اسْمٌ لِلصُّورَةِ الذِّهْنِيَّةِ لَا لِلْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ لِأَنَّ الْمَعْنَى عِبَارَةٌ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي عَنَاهُ الْعَانِي وَقَصَدَهُ الْقَاصِدُ، وَذَاكَ بِالذَّاتِ هُوَ الْأُمُورُ الذِّهْنِيَّةُ، وَبِالْعَرَضِ الْأَشْيَاءُ الْخَارِجِيَّةُ، فَإِذَا قِيلَ: إِنَّ الْقَائِلَ أَرَادَ بِهَذَا اللَّفْظِ هَذَا الْمَعْنَى، فَالْمُرَادُ أَنَّهُ قَصَدَ بِذِكْرِ ذَلِكَ اللَّفْظِ تَعْرِيفَ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُتَصَوَّرِ(الرازي، 1420هـ، 38/1). وَيذهبُ صاحبُ تاج العروس بأن المعاني هِيَ: (المَعانِي هِيَ الصُّورُ الذِّهْنيَّةُ مِن حيثُ وضع بإزائِها الألْفاظُ والصُّورَةُ الحاصِلَةُ من حيثُ أَنَّها تقصدُ باللفْظ تسَمَّى مَعْنًى، وَمن حيثُ حُصولها من اللفظِ فِي العَقْل تسَمَّى مَفْهوماً) (الزبيدي، دون تاريخ، 123/39).

وَلم ينأ جَهابذةُ اللُّغة وَالأدب بَعيدًا عَنْ هَذا الطرحُ فيذكر الجاحظ بأن: (المَعاني القائمة فِي صدورِ الناسِ، المُتصوّرةُ فِي أذهانِهم، وَالمُتخلجةُ فِي نفوسِهم، وَالمُتصلةُ بِخواطرِهم، وَالحادثةُ فِي فِكرِهم...) (الجاحظ، 1423هـ، 75/1). وَلا غرو أَنّهُ فِي خِطابِهِ هَذا يُشير إِلى مَبدأ مَركزي، اعتمدهُ أصحابُ اللِّسانيّات الإدراكيّةِ فيما بعد بِأنّ اللُّغةَ قَائمة فِي الذِّهنِ أوّلاً وَمتصوّره دَاخليًّا فِي دِماغِهم قبلَ التّشكيلِ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256



الخارجيّ. فَلا شك مِن أَنّ العَربَ مِن فَلاسِفةِ وَلُغويّين رَبطوا بينَ الصّورةِ الذّهنيّةِ وَالمعنى الَّذي قَابلتهُ الألفاظ، مُنذُ بَواكيرُهم فِي البحثِ عَنْ مَاهيّة التّصوّرِ الذّهنيّ وَعلاقتها بِالمعنى.

فَقد أكدوا عَلَى أَنّ لدِرّاسَة المعنى حَقيقةٌ كامنةٌ فِي الصّورةِ الذِّهنيةِ وَتَظهرُ عَلاقتهُما عِبرَ العالمِ الخارجيّ(معلوف، 2010، ص 115). فَقد أَكدَتْ جودث غرين فِي حَقيقةِ التّصوّراتِ الّتي تَأتي مِن العالمِ الخَارجيّ، عَلَى أَنّها مُشتركة بَينَ كَثيرٍ مِن البَشرِ، بَيدَ أَنّ التّصوّرات الخَاصّة بِنا (الداخليّة) تكونُ بِناءً عَلَى النسقِ الثّقافيّ الّذي نَعيشُ فِيه وَنَتلقاهُ(معلوف، 2010، ص 148).

وَفِي الصددِ نَفسهُ (التّصوّراتِ) يُفصلُ السّيّدُ مُحمّد باقر الصّدر الرأي فِي ذَلكَ، بأنّ الذِّهن البَشريّ يَنطوي عَلَى قسمينِ مِن التّصوّرات (بسيطة ومركّبة)، فَالبسيطةُ: مِثل مَعاني الوُجود وَالوحدةُ وَالحرارة وَما إلى ذَلكَ مِن مُفرداتِ التّصوّرِ البَشريّ، أَمَّا المُركّبة: فَهي التَّصوّراتُ النَاتجةُ مِن الجمعِ بَينَ مُفرداتِ البسيطة فَقد تَتَصوّر جَبلاً مِن التُّرابِ وَقطعةِ مِن الذّهبِ ثُم تُركّب بَينَ هَذين التَّصوّرينِ فَينتجُ تَصوّرٌ ثَالثٌ هُوَ جَبلُ مِن الذّهبِ وَهكذا فَكُلّ التّصورات المُركّبة هي مُؤاد مَعاني تَصوّريّة بسيطة (الصدر، 2009، ص 99).

ثُمَّ يُعرجُ لِمجموعةِ نَظريّات كَانَ لَها دورٌ مُهم عَنْ سببِ اِنبثاق التّصوّر فِي الإدراكِ الإنسَانيّ وَيَسترسلُ عِبرَ تَدرجٍ زَمنيّ مُنظم أَهمّها النظريّة الأفلاطونيّة الَّتي تَرى أَنّ: (الإدراكُ عمليّة اِستذكار للمعلوماتِ السّابقةِ... فَمتى أَحسست بِمعنى خَاصّ انتقلتُ فَورًا إِلى الحَقيقةِ المِثاليّةِ الّتي كَانَتْ تُدركُها قبلَ اتّصالها بِالبدنِ وَعَلَى هَذا الأساس يَكونُ إدراكنا للإنسان العامّ أيّ لِمفهوم الإنسان بصورةٍ كُلّيّة، عِبارةٌ عَنْ اِستذكارٍ لِحقيقةٍ مُجردةٍ قَد غَفلنا عَنْها) (الصدر، 2009، ص 100).

وَقد أوضحَ لايكوف وَجونسن مُوقفَ أفلاطون مِن الاِستعارةِ وَبِناءِ ها التَّصوّريّ، بِحسبِ المُعطياتِ الموجودة عِنْدَ العربِ، بِاعتبارِ أَنّ الأفكارَ أشياء، وَالمَعرفة رؤيّة، ثُمّ يُردف قَولهُ بِتوسيعِ هَاتينِ الاِستعارتينِ؛ لتّشكيلِ اِستعارةٍ أوسع (مُركبة) وَهيَ نِتاجٌ عَنْ دَرجةِ الوُجودِ وَالمعرفةِ (لايكوف وجونسن، 2016، ص 487)،الّتي لا يُمكنُ أَنّ تُدركُ إِلّا بالذّهنِ وَهُوَ بِذلكَ لمْ يَنأ عِنْ الفِكرِ العَربيّ لتَشكيلِ الصّورةِ الذّهنيّةِ.

وَمِن ثَمَّ النّظريّة الدِّيكارتيّة وَالكانتيّة الَّتي تَأخذُ المَنحى نَفسهُ فِي تَقسيمِ التّصوّراتِ عَلَى قسمينِ، إذْ تَتفقُ مَع الأوّلِ بَيدَ أَنَّها تَختلف مَع الثّاني، فَالأوّلُ التّصوّرُ عبرَ الحواس بِمّا فيه مِن الحرارةِ وَالنورِ وَالطعمِ وَالصّوتِ وَالثّاني الفِطرة بِمعنى أَنّ الذِّهنَ البَشريّ يَملكُ مَعانٍ وَتصوّرات لَم تَنبثقْ عَنْ الحِسِ وَإنّما هيَ ثَابتة فِي صَميمِ الفِطرةِ، أَمّا كَانت فَيرى أَنّ التّصورات كُلّها مُدركاتٌ فطريةُ(الصدر، 2009،

ص 102). فَالأفكارُ عِنْدَهُم فِطريّة –أي– (أَنّها خَاليّة مِن كُلِّ مَاهُوَ جَسديّ وَليستْ تَمثيلاً لأي شيء خَارجيّ) (لايكوف وجونسن، 2016، ص 520).

وَكانَ مردُ هذا القول: رأيهُ فِي الفصلِ بَينَ مَاهوَ جسديّ وَما هوَ ذهنيّ، فَهُوَ يَعتقدُ أَنّ الجوهرَ عِبارة عَنْ نَوعين: إحدهُما جَسديّ وَالآخر ذِهنيّ، فَكُلّ مَا هُوَ خاصّ بِالجسدِ مُتعلقِ بالفضاءِ، وَكُلّ مَا هو خاصّ فِي الذِّهنِ مُتعلقِ بالفِكرِ، فَانطلاقًا مِن هَذا يَخلُص إِلى أَنّ الفِكرَ غَير مُجسدٍ، وَهوَ بِذلكَ مُختلفٌ كُلّيًا عِنْ الجوهرِ الشّكليّ (الجَسديّ) (لايكوف وجونسن، 2016، ص 532)، أَمّا مَع جون لوك وَصيغتهُ الحسّيّة، فَقد قصرَ التّصورات الذّهنيّة عَلَى مَنابع حِسّيّة دونَ أيّةِ شَيء آخر؛ وَذلكَ لأن القوة الذّهنيّة هي القوةُ العاكسةُ للإحساساتِ المُختلفةِ فِي الذِّهنِ فَعِنْدَ إحساسِنا بِالشيءِ نَستطيعُ أَنّ نَتصورهُ مُحاولاً إرجاع جَميع التّصوّرات وَالأفكار إلى الحسّ(الصدر، 2009، ص 105)، وَعِنْدَ الفَلاسِفةِ المُسلمينَ وَجدوا أَنّ التّصوّراتَ تَقع عَلَى قسمينِ: (أَوّليّ وَثانويّ) فأمّا الأوليّ فَهُوَ الأساسُ التّصوّري للذِّهنِ البشريّ وَمِنهُ تَنطلقُ التّصوّرات بِصورةٍ مُباشرةٍ عَلَى اعتبارِ أَنّهُ مُقيد بالإحساس وَهُوَ مَعهُ عَلَى تُلامسٍ إذن هُوَ مُباشرٌ وَيَنشأ عِنْ هَذهِ القاعدة التّصوّرات الثّانوية فَيَبدأ بِدور الابتكارِ وَالإبداعِ فَيولّد مَفاهِيمَ جَديدة مِن تَلك المَعاني الأوّلية(الصدر، 2009، ص 109–110)، بِالتالي إنّ الكلمةَ أو الجُملة تُعبّر عَنْ تَصوّراتٍ ذِهنيّةٍ، إذْ أَنّ التّصوّرَ شَيئًا فِي دَاخلِ عَقلِ الإنسانِ، لِذا مِن الطَبيعيّ أَن يَكونُ مَعنى جُملة مَا، هُوَ التّصورُ الّذي تُعبّر عَنْهُ، وَهذا الكلامُ لا يَبتعدُ كَثيرًا؛ بل هُوَ ذاتُ الرأي القائل أَنّ مَعنى الكلمة هُوَ الفِكرةُ الّتي تُعبّر عَنْها، وَلا يَنطبقُ هَذا عَلَى كُلّ الأفكارِ وَالتّصوّراتِ؛ لأن هُناكَ أَفكارٌ وَتصوّراتٌ تَكونُ غَير مَقرونةٍ بِالكلماتِ أَمّا إذا قُرنَ بِلفظٍ مَا، فَهُوَ حِينها يَقومُ بوظيفةٍ، بِمعنى مَجموعةٍ مِن الأصواتِ المُتراتبةِ (جاكندوف، 2019، ص 134–135؛ غاليم، 2020، ص 29).

ثُمَّ وَضعوا مَفْهُومَينِ كَانَا مِن أَهمّ المَفاهِيمَ الّتي قَامَتْ عَليها نَظريّاتُ التّصوّرُ الذِّهنيّ فِي العَصرِ الحَديثِ هي: (لايكوف وجونسن، 2016، ص 649)

1–لا تَكونُ التّصوّرات إلّا عَبْر الجَسدِ وَالذّهنِ وَلا سِيّما القُدرات الإدراكيّةِ وَالحَركيّةِ.

2– تَكونُ ضِمن هَذهِ التّصوّرات مَظاهر الذِّهنِ المُتخيلة كَالأطرِ وَالإستعارةِ وَالنّمطِ النّموذجيّ وَالمَقولةِ الشّعاعيّةِ وَالفَضاءاتِ الذّهنيّةِ وَغيرها وَهَذهِ الأنساقُ ليستْ إعتباطيّة؛ بل هي مُتجذرةٌ فِي التّجربةِ أيضًا.

وَقد أَقرَ جاكندوف عَنْ العمليّةِ الّتي تُنظمُ العَلاقةَ بَينَ التّصوّرِ وَاللّغةِ بِقولِهِ: (إنّنا نَتصور الشيء أوّلاً فَنصنعُ لهُ وجودًا فِي بُنيتِنا التّصوريّةِ، ثُمَّ نَبحثُ لهُ عَنْ مَعنى؛ كَي نُحددهُ وَنقيدهُ لِيتحول مِن وجودٍ

تَصوّريّ إلى وجودٍ مَادي، بانتقالهِ مِن البُنيةِ التّصوريّةِ إلى النِظامِ اللّغويّ، مُتَمثلا فِي المعنى المُناسبِ لهُ، فَتلبسهُ ثوبًا لُغويًا لفظيًا... لِهذا فَإنّ البُنية التّصوريّة أعمقُ مِن البُنيةِ الدّلاليّةِ وَأسبقُ مِنها فِي المخ؛ لأن التّصورّ يَسبقُ المعنى) (أحمد، 2018، ص 351). وَذلكَ بِاعتبارِ مَراحلِ التّأسِيسِ لِهذهِ العَمليّةِ مِن هَيكلةِ وَبناءٍ.

أَمّا لانقاكر فَقد أكدَ عَلَى المَعرفةِ الواضحةِ بَينَ العناصرِ؛ بُغية إنجاح العَمليّة التّواصليّة، إذْ يَشترك الأفرادُ المُتكلمونَ فِي مَجموعةٍ مِن الخَصائصِ، الّتي تُساعدُهم عَلَى جَعلِ المَعرفةِ مُشتركةٍ، وَقد عَدّ أصحابُ التّصورّ الذِّهنيّ، أَنّ المعنى عَلَى هَذهِ الشّاكلة يَعدُّ مُرادفا للتّصورِ، فَما المعنى عِنْدَهُم إلّا رؤيّة تَصوّريّة (قريرة، 2011، ص 17). وَفِي صَددِ هَذا يُوردُ لايكوف وَجونسن قَولهما: {عِنْدَما لا يَشتركُ الناسَ الّذينَ يَتحاورن نفس الثّقافة وَنفس المَعرفة، وَنفسُ القيمِ وَنفسُ المُسلماتِ فَإن الفِهم المُتبادل يَكونُ صَعباً، إنّ هَذا الفهم يَكونُ مُمكناً مِن خِلالِ التّفاوضِ بِشأنِ المعنى (لايكوف وجونسن، 2009، ص 216).

وَتجدرُ الإشارة إلى نقطةِ بَدءٍ مُهمّةٍ قَائمةٍ عَلَى الوَضعِ التّأسِيسي لِهذا الاتجاه، فَعَلَى الرغمِ مِن القولِ بأَنّهُ لم يَتكأ عَلَى الجُذورِ الفَلسَفيّةِ القَبْليّة، الّتي كَانَتْ لها جذورٌ ضَاربةٌ فِي المنطقِ الرّياضيّ (جاكندوف، 2010، ص 47)؛ بل نَبذها وَلا سِيّما المَرجعياتُ الفَلسَفيّةُ، الّتي قَامَتْ عَلَيها طُروحاتُ تشومسكي، بَيدَ أَنّ لها مَنحى آخر اقتضاءاتٌ فَلسَفيّةٌ واضحةٌ أهمّها (الفَلسَفةُ التّجريبيّة فَهيَ تَرى أَنّ كُلّ الآلياتِ العصبيّةِ وَالمَعرفيّةِ تُساعِدُنا عَلَى تَشكيلِ أنسِقتنا التّصوّريّة وَتجربتنا) (لايكوف وجونسن، 2016، ص 663).

إنطلاقًا عَلَى مَا جَاءَ آنفًا: فَقد وردَ بِناءها مُختلفا عَمّا سَبقهُ إذْ لا تَتّفقُ مَع النّظريّاتِ التّحليليّة فِي كِلا التّصورينِ العَاديّ وَالصُّوريّ، وَلا تَتَفقُ معَ فلسفةِ مابَعدَ البنيويّة، وَلا معَ المزجِ التّشومسكيّ، لذا جَاءَتْ بِحلةٍ جَديدةٍ مَائزةٍ مُتحررةٍ مِن الفلسفاتِ القَبليّةِ (لايكوف وجونسن، 2016، ص 668)، متوسمة بما يعرف بالطابع التجريدي أرجعوا الدلالات كلها إلى التصورات التي منها يتحقق الأثر العلمي (منقور، 2001، ص 85).

## الخاتمة:

إنّ هَذا الاتّجاه مِن النظريّاتِ الحَديثةِ أو مَا يُسمى بِاللّسانيّاتِ المُتقدمةِ، هيَ نظريّاتٌ نَفسيّةٌ بِالمعنى شاملةِ دلاليّا، ممّا تَحملُ عَلَى قدرِ تَضلعِها بِمعطياتِ اللُّغةِ فِي تأثيرها بالعلومِ النّفسيّة، وغير خاضِعةٍ للتّشكيلِ الهَيكليّ للغةِ وَلا القُولبةُ، الّتي اعتادها متبنو اللّسانيّات ممّن سَبقهم بدءًا من سوسير ومن تبعه

على الرغم الاختلاف في المعالجات إلا أن الدلالة لم تثمر عندهم ولم تحظ بمركزية الاهتمام كما هو الحال عند متبني نظريات التصور الذهني.

وَلا يَخفى عَلَى القارئِ أَنّ البُعدَ المَعرفيّ مَنحى مُترامي الأطراف، مُتشعبُ الإجراء، وَلا سِيّما فِي العُلوم اللّغويّةِ، وَحصرًا فِي جَانِبها الدّلاليّ لكن الصفة الّتي تَبنتها هَذهِ النّظريّاتُ وَلا يُمكنُ إنكارها، بِأن لها بَصمات نَفسيّة وَمعرفيّة فِي إنتاجِ المَعنى وَبناءِه. وَلا مَناص مِن إرتكازِها عَلَى الذّهنِ كَبؤرةٍ اِنطلاقٍ مَركزيّةٍ للتّحليل

فَضلاً عَنْ أَنّ المعنى مِن المُرتكزاتِ الأَسَاسيّةِ الّتي كَانَتْ وَما زَالتْ الشّغلُ الشّاغل، فِي كُلِّ اللّغاتِ بِمختلفِ تَوجهاتِهِم مِن فَلاسِفةِ، وَمناطقةِ وَفقهاءِ وَمفسرِينَ وَنقّاد وَأدباء وَلغويّينَ، بَيدَ أَنّهُ لِكُلّ مِنهم مَنهجه وَأسلوبهِ، بِحيث جَاءتْ دِراستهُم بِحسبِ مَا يَعتري مَرجعياتهم، وَمِن بَينَ هَذا كُلّه كَانَت اللُّغة الأداة الّتي عُبر بها عَمّا يَرمونَ الولوج إليهِ.

## المصادر:


[1] أحمد، عطية سليمان. (2018). اللسانيات العصبية: اللغة في الدماغ (رمزية، عصبية، عرفانية). القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

[2] الزناد، الأزهر. (2008). نظريات لسانية عرفنية. صفاقس: دار محمد علي للنشر.

[3] الزراعي، حسين بن علي. (2016). اللسانيات وأدواتها المعرفية: تطبيقات نظرية وتجريبية على اللغة العربية. (ط1).

[4] السعران، محمود. (1999). علم اللغة العام: مقدمة للقارئ العربي. القاهرة: دار الفكر العربي.

[5] الصدر، محمد باقر. (2009). فلسفتنا. بيروت: دار تعارف للمطبوعات. (ط3).

[6] العزوز، أحمد. (دون تاريخ). المدارس اللسانية: أعلامها، مبادئها، ومناهج تحليلها للخطاب التواصلي. وهران: جامعة وهران.

[7] الوعر، مازن. (1989). دراسات لسانية تطبيقية. دمشق: طلاس للدراسات والترجمة.

[8] الجاحظ، عمرو بن بحر. (1423هـ). البيان والتبيين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

[9] الزبيدي، محمد مرتضى. (دون تاريخ). تاج العروس في جواهر القاموس. الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء.

[10] شنوقة، السعيد. (2008). مدخل إلى المدارس اللسانية. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

[11] حباشة، صابر. (2008). اللغة والمعرفة: رؤية جديدة. دمشق: صفحات للدراسات والنشر.

[12] قريرة، توفيق. (2011). الاسم والأسمية والإسماء في اللغة العربية: مقاربة نحوية عرفانية. تونس: مكتبة قرطاج.

[13] مقدور، أحمد محمد. (2008). مبادئ اللسانيات. دمشق: دار الفكر.

[14] منقور، عبد الجليل. (2001). علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

[15] معلوف، سمير أحمد. (2010). الصورة الذهنية: دراسة في تصور المعنى. مجلة جامعة دمشق، 26(1–2).

[16] هاريس، روي. (2019). سوسير وفتجنشتين: فلسفة اللغة ولعبة الكلمات (ترجمة فلاح رحيم). بيروت: جامعة الكوفة.

[17] تيبرغيان، غي، وآخرون. (2013). قاموس العلوم المعرفية (ترجمة جمال شحيّد). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

[18] تشومسكي، نعوم. (1987). البنى النحوية (ترجمة يوئيل يوسف عزيز). (ط1).

[19] تشومسكي، نعوم. (دون تاريخ). آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن (ترجمة عدنان حسن).

[20] جاكندوف، راي. (2010). علم الدلالة والعرفانية (ترجمة عبد الرزاق بنور). تونس: دار سيناترا.

[21] جاكندوف، راي. (2019). دليل ميسّر إلى الفكر والمعنى (ترجمة حمزة المزيني). عمّان: دار كنوز المعرفة.

[22] دي سوسير، فردينان. (1985). علم اللغة العام (ترجمة يوئيل يوسف عزيز). (ط3).

[23] غاليم، محمد (مترجم). (2020). اللغة والوعي والثقافة: أبحاث في البنية الذهنية. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

[24] لايكوف، جورج، وجونسن، مارك. (2009). الاستعارات التي نحيا بها (ترجمة عبد المجيد جحفة). المغرب: دار طوبقال.

[25] لايكوف، جورج، وجونسن، مارك. (2016). الفلسفة في الجسد: الفكر المتجسد وتحديه للفكر الغربي (ترجمة عبد المجيد جحفة). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

[26] يول، جورج. (2010). التداولية (ترجمة قصي العتابي). بيروت: الدار العربية للعلوم.

[27] الرازي، فخر الدين. (1420هـ). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار إحياء التراث العربي.